بسم[1] الله[2] الرحمن[3] الرحيم[4]

اعلم[5] رحمك الله[6] أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل[7] : **الأولى** : العلم : وهو معرفة الله[8] ومعرفة نبيه[9] ومعرفة دين الإسلام[10] بالأدلة[11]، **الثانية** : العمل به[12]، الثالثة : الدعوة إليه[13]، الرابعة:الصبر على الأذى فيه[14]،

---

[1] – ابتدأ المؤلف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب الله فإنه مبدوء بالبسملة، واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه يبدأ كتبه بالبسملة.

[2] – الله : علم على الباري جل وعلا.

[3] – الرحمن : اسم مختص بالله لا يطلق على غيره، معناه : المتصف بالرحمة الواسعة.

[4] – الرحيم : يطلق على الله عز وجل وعلى غيره، ومعناه ذو الرحمة الواصلة، فإذا جمع مع "الرحمن" صار معناه : الموصل رحمته إلى من يشاء.

[5] – العلم : إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما.

[6] – أي غفر لك ووفقك للخير وسلمك من الشر، وصنيع المؤلف رحمه الله يدل على شفقته بالمخاطب.

[7] – هذه المسائل الدينُ كله فهي جديرة بالعناية لعظم نفعها.

[8] – أي معرفة الله معرفة تستلزم قبول شرعه والانقياد له، وتكون هذه المعرفة بالنظر في الآيات الكونية كالسماوات والأرض والآيات الشرعية وهي الكتاب والسنة.

[9] – أي معرفة النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم معرفة تستلزم قبول ما جاء به والانقياد له بالرضى والتسليم، وتكون هذه المعرفة بالأدلة العقلية (وهي الآيات الكونية) من معرفة المعجزات التي جاء بها والإخبار بالمغيبات، والنظر في الأدلة أو الآيات الشرعية وهي الكتاب والسنة.

[10] – معرفة دين الإسلام بالمعنيين : **1– المعنى العام** : وهو التعبد لله بما شرع، أي بما أرسل به جميع الرسل. **2– المعنى الخاص** : وهو الإسلام الذي أرسل به النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقط. وأتباع الرسل – غير محمد صلى الله عليه وسلم – مسلمون في زمن رسلهم، غير مسلمين بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتبعوه، ولا يُقبَل يوم القيامة دين غير الإسلام، وهو الدين الذي امتن الله به على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته.

[11] – جمع دليل، وهو ما يرشد للمطلوب والأدلة على ذلك : **– سمعية** : ما ثبت بالوحي (الكتاب والسنة).

– عقلية : ما ثبت بالتأمل والنظر.

ويكون سياق الأدلة العقلية الدالة على الله بقوله عز وجل :"ومن آياته..."كذا وكذا.

[12] – أي العمل [القول والفعل] بما تقتضيه هذه المعرفة من الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما، والعمل ثمرة العلم، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود.

[13] – أي الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ومعاملة الظالم بما يستحقه، ويلزم ذلك أن يعلم الداعي ما يدعو إليه ويعرف طريقة الدعوة وحال المدعو. والدعوة هي وظيفة الرسل، ومجالاتها كثيرة كالخطب والتأليف وغيرها.

[14] – الصبر ثلاثة أقسام : صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله التي يجريها بغير كسب العباد، أو على أيدي بعضهم كالإيذاء والاعتداء، وعلى الداعية الالتزام بهذه الأقسام الثلاثة، فكل من يمارس الدعوة فإنه سيؤذى.

والدليل قوله تعالى: (وَالْعَصْرِ* إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)[15]. قال الشافعي – رحمه الله تعالى –:"لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم"[16]. وقال البخاري – رحمه الله تعالى – :"باب العلم قبل القول والعمل". والدليل قوله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) (محمد : 19)، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل[17].

اعلم رحمك الله : أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن، الأولى : أن الله خلقنا[18] ورزقنا[19] ولم يتركنا هملا[20] بل أرسل إلينا رسولا[21] فمن أطاعه دخل الجنة[22] ومن عصاه دخل النار[23] والدليل قوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً) (المزمل : 15، 16). الثانية[24] : أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي

---

15 – أقسم الله تعالى بالعصر الذي هو الدهر وهو محل الحوادث على أن الإنسان في خسر، إلا من اتصف بهذه الصفات :1– الإيمان : وهو يوافق العلم. 2– العمل الصالح : وهو العمل بالعلم. 3– التواصي بالحق : وهو الدعوة إليه. و4– التواصي بالصبر : وهو الصبر على الأذى فيه. والتواصي بالحق والتواصي بالصبر هما من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذان بهما قوام الأمة وصلاحها.

16 – هذه السورة هي كافية للخلق في الحث على هذه الأمور الأربعة وليست كافية لهم في جميع الشريعة.

17 – الدليل على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل سمعي وعقلي، **فالسمعي** كقوله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ..) (محمد: من الآية19). **والعقلي** هو أن العمل لا يكون صحيحا مقبولا حتى يوافق الشريعة وذلك لا يكون إلا بالعلم، لكن هناك بعض الأشياء يعرفها الإنسان بفطرته كالعلم بأن الله واحد.

18 – الدليل أن الله خلقنا : سمعي وعقلي، أما **السمعي** فمثل قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) (الأنعام:2). أما **العقلي** فإن وجود المخلوقات بهذا النظام والتناسق يمنع أن تكون وُجدت صدفة بل لها موجد أوجدها وهو الله تعالى.

19 – أدلة هذه المسألة كثيرة من الكتاب والسنة والعقل، أما **الكتاب** فقوله تعالى: (إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)(الذريات:58)، أما **السنة** فمنها قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث عن الجنين:"ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ". **[صحيح – متفق عليه أخرجه البخاري في (3208، 3332، 6594، 7454 فتح) ومسلم (2643) وغيرهما]**. أما **الدليل العقلي** على أن الله رزقنا فلأننا لا نعيش إلا بطعام وشراب، والطعام والشراب خلقهما الله عز وجل إذن فرزقنا من الله.

20 – هذا هو الواقع الذي تدل عليه الأدلة السمعية والعقلية : أما **السمعية** فمنها قوله تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...) (المؤمنون :115، 116). أما **العقلية** : فخلق البشرية وإرسال الرسل وأمر الله بقتل من خالف الرسل ومحاربته من غير بعث ولا حساب عبث لا يليق بحكمة الله تعالى.

21 – هو محمد صلى الله عليه وسلم يتلو علينا القرآن ويعلمنا ويزكينا، ولا بد أن يرسل الله لخلقه من يقيم به حجته عليهم، أرسله إلينا كما أرسل إلى من كان قبلنا الرسل، ولا يمكن أن يعبد الله بما يرضاه إلا عن طريق الرسل.

22 – هذا حق مستفاد من قوله تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). (النساء : من الآية13). ومن قوله صلى الله عليه وسلم:"كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى"، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى". **[أخرجه البخاري 7280، وأحمد 8511 وغيرهما]**.

23 – هذا حق مستفاد من قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً) (الجن : من الآية 23)، ومن قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق:"وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى".

24 – أي : **المسألة الثانية** : أن الله لا يرضى بالشرك لأنه وحده المستحق للعبادة، فقد نهى عنه وأرسل الرسل لمحاربته، ووجب على المؤمن أيضا أن لا يرضى به لأنه أمر خطير جزاؤه جهنم والخلود فيها والبعد عن الجنة.

مرسل والدليل قوله تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً) (الجن: 18)، الثالثة[25] : أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب والدليل قوله تعالى: (لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (المجادلة : 22).

اعلم أرشدك الله[26] لطاعته[27] : أن الحنيفية[28] ملة[29] إبراهيم[30] : أن تعبد الله وحده[31] مخلصا له الدين[32] وبذلك[33] أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)

الحقوق محفوظة لأم عبد الرحمن الأثرية

---

[25] – أي : **المسألة الثالثة** : الولاء والبراء وهما أصل عظيم، وموالاة من حاد الله ومداراتهم تدل على أن ما في قلب الإنسان من الإيمان بالله ورسوله ضعيف، بل الواجب على المؤمن معاداتهم ولو كانوا أقرب قريب إليه، وبغضهم والبعد عنهم، ولكن هذا لا يمنع نصيحتهم ودعوتهم إلى الحق. وموالاة الكفار تكون بمعاونتهم على ما هم عليه من الكفر، وموادتهم تكون باتخاذ الأسباب لاكتساب ودهم، والأول ينافي أصل الإيمان والثاني ينافي كمال الإيمان.

[26] – الرشد : الاستقامة على طريق الحق.

[27] – الطاعة : موافقة المراد فعلا للمأمور به وتركا للمحظور.

[28] – الحنيفية : هي الملة المائلة عن الشرك، المبنية على الإخلاص لله عز وجل.

[29] – أي طريقة الدين التي يسير عليه النبي عليه الصلاة والسلام.

[30] – إبراهيم هو خليل الرحمن أبو الأنبياء قال الله عز وجل: (وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) (النساء:125).

[31] – العبادة **بالمفهوم العام** : هي التذلل لله محبة وتعظيما بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه. وأما **مفهومها الخاص** : فهي اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف والخشية.. وغيرهما من شرائع الإسلام.

[32] – الإخلاص : هو التنقية، والمراد به هنا قصد الله والدار الآخرة بالعبادة.

[33] – أي بالحنيفية أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، لهذا قال: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (الذريات:56).

(الذريات : 56)، ومعنى يعبدون يوحدون[34]، وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة[35]، وأعظم ما نهى عنه الشرك. وهو دعوة غيره معه والدليل قوله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً)[36] (النساء: الآية 36).

فإذا قيل لك: ما الأصول[37] الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها[38]؟

فقل : معرفة العبد ربه[39]، ودينه[40]، ونبيه محمدا صلى الله عليه وسلم[41].

[* الأصل الأول *]

فإذا قيل لك : من ربك[42]؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه[43]، وهو معبودي ليس لي معبود سواه[44] والدليل قوله تعالى: (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة: 2)[45].

---

34 – يعني التوحيد من معنى العبادة، لأنه قد مر أن العبادة أعم من مجرد التوحيد، واعلم أن العبادة نوعان : **عبادة كونية** : وهي الخضوع لأمر الله الكوني وهي عامة وشاملة لجميع الخلق. **عبادة شرعية** : وهي الخضوع لأمر الله الشرعي وهي خاصة بالمسلمين والمؤمنين. والنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان لأنه بغير فعله، بعكس النوع الثاني فيحمد عليه.

35 – التوحيد : **لغة** : مصدر وَحَّدَ يُوحِّد أي جعل الشيء واحدا. ولا يتم هذا التوحيد إلا بنفي وإثبات، فننفي الألوهية عن غير الله ونثبتها لله وحده. **اصطلاحا** : هو إفراد الله تعالى بما يختص به، ومن ذلك العبادة محبة وتعظيما رغبة ورهبة، وهو الذي بعثت الرسل لتحقيقه. وأنواع التوحيد ثلاثة : **1– توحيد الربوبية** : وهو إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير. **2– توحيد الألوهية** : وهو إفراد الله بالعبادة. **3– توحيد الأسماء والصفات** : وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. ويجب أن يقر الإنسان بهذه الأنواع الثلاثة من التوحيد حتى يكون موحدا. ومراد المؤلف هنا هو توحيد الألوهية وهو أهم هذه الأنواع ومن أقر بغيره دونه فهو كافر، وهو أصل الدين، وهو الذي بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم دعوته وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به.

36 – أعظم ما نهى الله عنه الشركُ، لأنه تفريط في أعظم الحقوق وهو التوحيد، والشرك نوعان : **1– شرك أكبر** : وهو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمنا لخروج الإنسان من دينه. **2– شرك أصغر** : كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك ولكنه لا يُخرِج من الملة. وعلى الإنسان أن يحذرهما جميعا.

37 – الأصول : جمع أصل وهو ما يبنى عليه غيره. والأصول الثلاثة يشير بها المصنف إلى الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره : من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟.

38 – أوردها المصنف بصيغة سؤال تنبيها لعظمها فهي التي يسأل عنها المرء في قبره.

39 – معرفة الرب قد مر الكلام عنها سابقا وأنها تكون بطريقين : النظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية. ومنها ما يلقيه الله تعالى في قلب العبد من معرفته حتى كأنه يرى ربه رأي العين، وهذا من مرتبة الإحسان.

40 – أي معرفة **الأصل الثاني** وهو دينه الذي كلف بالعمل به وما تضمنه، ودين الإسلام متضمن لجميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة متميزا عنها بكونه صالحا لكل زمان ومكان وأمة، ولا ينبغي أن نقيس الإسلام بما عليه المسلمون اليوم لأنهم فرطوا في أشياء كثيرة، فدين الإسلام هو دين الحق والتمسك به لا ينافي مصالح الأمة في أي زمان ومكان وأمة.

41 – **الأصل الثالث** : معرفة النبي صلى الله عليه وسلم، وتدرك بدراسة حياته وما كان عليه، ومطالعة سيرته ومعرفة ما تيسر منها.

42 – أي من هو ربك الذي خلقك وأمدك وأعدك ورزقك؟.

43 – التربية : هي الرعاية التي يكون بها تقويم المربى، ويشعر كلام المؤلف رحمه الله أن الرب مأخوذ من التربية، فكل العالمين قد رباهم الله تعالى بنعمه التي لا تعد ولا تحصى وأعدهم لما خلقوا له وأمدهم برزقه. **إذن فهو وحده المستحق للعبادة.**

44 – أي هو الذي أعبده وأتذلل له خضوعا ومحبة وتعظيما، أفعل أوامره وأترك نواهيه.

وكل من سوى الله عالَم وأنا واحد من ذلك العالَم[46]، فإذا قيل لك : بم عرفت ربك[47]؟ فقل: بآياته ومخلوقاته[48]، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما[49]. والدليل[50] قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (فصلت:37). وقوله[51] تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف : 54).

والرب هو المعبود[52]، والدليل[53] قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ[54] اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ[55] وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[56] * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً[57] وَالسَّمَاءَ بِنَاءً[58] وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً[59] فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

---

45 – استدل المؤلف رحمه الله لكون الله تعالى مربيا لجميع الخلق بقوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة:2). يعني الوصف بالكمال والجلال والعظمة لله وحده. "رب العلمين" أي مربيهم بالنعم وخالقهم ومالكهم والمدبر لأمرهم كما شاء عز وجل.

46 – العالَم : كل من سوى الله، وسُمُّوا عالَمًا لأنهم علَم [أي : دليل] على خالقهم ومالكهم ومدبرهم ففي كل شيء آية لله تدل على أنه واحد وأنا المجيب بهذا واحد من ذلك العالَم.

47 – أي : بأي شيء عرفت الله عز وجل؟.

48 – الآيات جمع آية وهي العلامة على الشيء التي تدل عليه وتبينه، فالله عز وجل يعرف بآياته الكونية وهي المخلوقات العظيمة وما فيها من عجائب الصنعة وبالغ الحكمة، وكذلك يعرف بآياته الشرعية وما فيها من العدل والاشتمال على المصالح ودفع المفاسد.

49 – هذه من آيات الله الدالة على كمال القدرة وكمال الحكمة وكمال الرحمة، كالشمس من آيات الله لكونها تسير سيرا منتظما بديعا منذ خلقها الله إلى فناء العالم، وهي من آيات الله بحجمها العظيم وآياتها التي تحصل بها منافع على كل ما على الأرض. وكذلك القمر من آيات الله تعالى حيث قدره منازل، لكل ليلة منزلة، فيبدأ صغيرا ثم يكبر حتى يكمل ثم يعود فيصغر، وهو مثل الإنسان خلق من ضعف ثم يقوى ثم يعود إلى الضعف فتبارك الله أحسن الخالقين.

50 – أي : والدليل على أن الليل والنهار والشمس والقمر من آيات الله عز وجل قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ..)، ثم نهى الله تعالى العباد أن يسجدوا للشمس والقمر وإن بلغا مبلغا عظيما في نفوسهم لكونهما مخلوقين والله وحده المستحق للعبادة.

51 – و"قوله" أي من الأدلة على أن الله خلق السماوات والأرض قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) الآية، وفيها من آيات الله : **أولا** : خلق الله هذه المخلوقات العظيمة في ستة أيام ولو شاء لخلقها في لحظة، ولكنه ربط المسببات بأسبابها كما تقتضيه حكمته.

ثانيا : أنه استوى على العرش أي علا عليه علوا خاصا به كما يليق بجلاله وعظمته وهذا عنوان كمال الملك والسلطان.

ثالثا : يجعل الله الليل غشاء النهار، أي غطاء له فهو كالثوب يسدل على ضوء النهار فيغطيه.

رابعا : جعل الشمس والقمر والنجوم مذللات بأمره، يأمرهن بما يشاء لمصلحة العباد.

خامسا : عموم ملكه وتمام سلطانه حيث له الخلق والأمر لا لغيره.

سادسا : عموم ربوبيته للعالمين كلهم.

52 – فالرب هو الذي يعبد لاستحقاقه العبادة، وليس المعنى أن كل من عبد فهو رب، فالآلهة التي تعبد من دون الله واتخذها عُبَّادها أربابا من دون الله ليست أربابا. والرب : هو الخالق الملك المدبر لجميع الأمور.

53 – أي والدليل على أن الله هو المستحق للعبادة.

54 – النداء لجميع الناس من بني آدم.

الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ[60] فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً[61] وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [62] (البقرة: 21-22). قال ابن كثير – رحمه الله تعالى –:"الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة". وأنواع العبادة التي أمر الله بها[63] : مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلُّها لله تعالى[64]، والدليل قوله تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً) (الجن:18)، فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [65] (المؤمنون:117). وفي الحديث:"الدعاء مخ العبادة". والدليل قوله تعالى:(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[66] (غافر:60). ودليل الخوف قوله تعالى: (فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [67] (آل عمران:175).

---

55 – قوله :"الَّذِي خَلَقَكُمْ" صفة كاشفة تعلل ما سبق أي : اعبدوه لأنه ربكم الذي خلقكم، فلزاما على كل من أقر بربوبيته أن يعبده وحده وإلا كان متناقضا.

56 – أي من أجل أن تحصلوا على التقوى، والتقوى اتخاذ وقاية من عذاب الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

57 – أي جعلها فراشا ومهادا نستمتع فيها من غير مشقة ولا تعب كما ينام الإنسان على فراشه.

58 – أي فوقنا لأن البناء يصير فوق السماء بناء لأهل الأرض وهي سقف محفوظ.

59 – أي أنزل من العلو من السحاب ماءً طهورا.

60 – أي عطاء لكم.

61 – أي لا تجعلوا لربكم أندادا تعبدونها كما تعبدون الله أو تحبونها كما تحبون الله فإن ذلك غير لائق بكم لا عقلا ولا شرعا.

62 – أي تعلمون أنه لا ند له وأنه هو الرب فلا تجعلوا له شريكا.

63 – بين المؤلف فيما يلي شيئا من أنواع العبادة فقال : وأنواع العبادة مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان، وهذه الثلاثة هي الدين.

64 – أي : كل أنواع العبادة لله وحده فلا يحل صرفها لغيره.

65 – وجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى أخبر أن المساجد – وهي مواضع السجود أو أعضاء السجود – له، ورتب على ذلك قوله : (فَلاَ تَدْعُو مَعَ اللهِ أَحَدًا). ووجه الدلالة من الآية الثانية أن الله تعالى بين أن من يدعو مع الله إلها آخر فإنه كافر، وفي قوله :(لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) إشارة إلى أنه لا يمكن أن يكون برهان على تعدد الآلهة.

66 – شرع المؤلف هنا في أدلة أنواع العبادة : الدعاء، الخوف... وقدم دليلا من السنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ) **[هذا الحديث ضعيف بهذا اللفظ انظر : "ضعيف الترمذي"(669)، وقد صح بلفظ :"الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ". كما في "صحيح الجامع"(3407)]**.

والآية الكريمة تدل على أن الدعاء من العبادة، فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيا أو ميتا، ومن دعا حيا بما يقدر عليه مثل أن يقول : يا فلان أطعمني، فلا شيء فيه، ومن دعا ميتا أو غائبا بمثل هذا فإنه مشرك.

والدعاء نوعان : **دعاء المسألة** : وهو دعاء طلب الحاجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه، ويجوز إذا صدر من عبد لمثله إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة. **دعاء العبادة** : يتعبد به المدعو طلبا لثوابه وخوفا من عقابه وهذا لا يصح لغير الله، وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة.

67 – الخوف : هو الذعر، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه ضرر وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

والخوف ثلاثة أنواع : **النوع الأول** : خوف طبيعي، كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق، وهذا لا يلام عليه العبد. قال تعالى عن موسى عليه السلام : (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ) (القصص: 18)، ولكن إذا كان سببا لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام.

ودليل الرجاء قوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [68] (الكهف:110). ودليل التوكل قوله تعالى: (وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (المائدة : 23)، وقال: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [69] (الطلاق : 3). ودليل الرغبة[70] والرهبة[71] والخشوع[72] قوله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [73] (الأنبياء : 90). ودليل الخشية قوله تعالى: (فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي) [74] (البقرة : 150). ودليل الإنابة قوله تعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) [75] (الزمر : 54). ودليل الاستعانة قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة : 5)، وفي الحديث: (إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ) [76]. ودليل

والخوف من الله تعالى يكون محمودا ويكون غير محمود، **فالمحمود** ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المنكرات، فإذا حصلت الغاية سكن القلب. **وغير المحمود**: ما يحمل العبد على اليأس والقنوط من روح الله. **النوع الثاني**: خوف العبادة هو أن يخاف أحدا يتعبد له بالخوف ولا يكون إلا لله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر. **النوع الثالث** : خوف السر كأن يخاف صاحب القبر، وهذا من الشرك.

68 – الرجاء : طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون بعيد المنال تنزيلا له منزلة القريب، والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل، وصرفه لغير الله شرك، إما أصغر، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي، والرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصية ورجا قبول توبته. أما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمنٍّ مذموم.

69 – التوكل على الله الاعتماد عليه في كل شيء وهو من تمام الإيمان وعلامته، وإذا صدق العبد في التوكل كفاه الله فلا يعجز الله شيء. والتوكل أنواع : **الأول** : التوكل على الله تعالى وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به. **الثاني** : توكل السر، بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة أو دفع مضرة وهذا شرك أكبر. **الثالث** : التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع تعلق القلب به وقوة الاعتماد عليه وهذا نوع من الشرك الأصغر، أما إذا اتخذه سببا فقط وكان تعلقه بالله فجائز إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله. **الرابع** : التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكِّلُ وهو الوكالة، كما وكل النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة عمالا وحفاظا، وهو جائز بالكتاب والسنة والإجماع من حيث الجملة.

70 – الرغبة : محبة الحصول على الشيء المحبوب.

71 – الرهبة : الخوف المقرون بعمل.

72 – الخشوع : الذل والتطامن لعظمة الله تعالى بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي.

73 – في هذه الآية وصف الله عز وجل الخلَّص من عباده بأنهم يدعون الله رغبا ورهبا مع الخشوع، والمؤمن ينبغي أن يسعى إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء ويغلب الرجاء في جانب الطاعة لينشط عليها ويأمل قبولها، ويغلب الخوف إذا هم بمعصية ليهرب منها = = وينجو من عقابها. وقال بعض العلماء : يغلب جانب الرجاء في حال المرض، وجانب الخوف في حال الصحة، وقيل يكون رجاؤه وخوفه واحدا سواء لئلا يحمله الرجاء على أمن مكر الله، والخوف على اليأس والقنوط من رحمة الله وكلاهما قبيح مهلك.

74 – الخشية : هي الخوف المبني على علم بعظمة الله وكمال سلطانه، فهي الخوف مع العلم بقدرة المخاف منه، ويقال في أنواع الخشية ما يقال في أنواع الخوف.

75 – الإنابة : الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى والمراد بقوله : (وَأَسْلِمُوا لَهُ) الإسلام الشرعي.

76 – الاستعانة : طلب العون، وهي أنواع : **الأول** : الاستعانة بالله : المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى وصرفها لغيره شرك مخرج من الملة. **الثاني** : الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه : – إن كانت على بِرٍّ فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين [وقد تكون واجبة أو مستحبة بحسب الحال]. – وإن كانت على إثم فهي حرام على المعين والمستعين. – إن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون

الاستعاذة قوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) (الفلق : 1) و(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) [77] (الناس : 1). ودليل الاستغاثة قوله تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) [78] (الأنفال : 9). ودليل الذبح قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)[79] (الأنعام:162، 163)

.....

.....

.....

ومن السنة:"لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ". ودليل النذر[80] قوله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) [81] (الإنسان : 7).

* الأصل الثاني[82]*

مشروعة [بل مستحبة] في حقه. **الثالث** : الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر، هذه لغو لا طائل منها. **الرابع** : الاستعانة بالأموات مطلقا أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته، فهذا شرك. **الخامس** : الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى، وهذه مشروعة لقوله تعالى: (..اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ..) (البقرة:45، 153). وقد استدل المؤلف للنوع الأول بقوله صلى الله عليه وسلم:"إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ" **[صحيح : أخرجه الترمذي صفة القيامة (2516) وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (7957)]**.

77 – الاستعاذة : هي طلب الحماية. وهي أنواع : **الأول** : الاستعاذة بالله تعالى، وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته. **الثاني** : الاستعاذة بصفة من صفاته، كقولك:"أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ"**[صحيح : أخرجه مسلم 2708]**. **الثالث** : الاستعاذة بالأموات وبالأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ، ومنه قوله تعالى: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً) (الجن:6). **الرابع** : الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر والأماكن وغيرها، وإذا كانت الاستعاذة في خير ومصلحة وجبت إعاذة المستعيذ وتحرم إذا كانت لأجل محرم أو مفسدة.

78 – الاستغاثة : طلب الغوث والإنقاذ من الشدة والهلاك. وهي أنواع : **الأول** : الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم. **الثاني** : الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة، فهذا شرك، لأن فاعل ذلك يعتقد أن لهؤلاء تصرفا خفيا في الكون فيجعل لهم حظا من الربوبية. **الثالث** : الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة : وهذا جائز. **الرابع** : الاستغاثة بحي غير قادر من غير اعتقاد أن له قوة خفية كاستغاثة الغريق برجل مشلول، وهذا لغو وسخرية بمن استغاث به.

79 – الذبح : إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص، ويقع على وجوه : **الأول** : يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرّب إليه فهذا لا يكون إلا لله تعالى وصرفه لغير الله شرك أكبر. **الثاني** : أن يقع إكراما لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك، وهذا مأمور به وجوبا أو استحبابا. **الثالث** : أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به، فهذا مباح.

80 – أي : ودليل كون النذر من العبادة.

81 – وجه الدلالة من الآية أن الله أثنى عليهم لإيفائهم النذر وهذا يدل على أن الله يحب ذلك، وكل محبوب لله من الأعمال الصالحة فهو عبادة. واعلم أن النذر يطلق على العبادات المفروضة عموما، ويطلق على النذر الخاص وهو إلزام الإنسان نفسه بشيء لم يلزمه به الله تعالى، وقد كرهه بعض العلماء وحرمه آخرون لقول النبي صلى الله عليه وسلم:"إِنَّهُ لاَ يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ مِنَ الْبَخِيلِ"**[صحيح أخرجه البخاري (6608 – فتح) ومسلم (1639)]**. ومن نذر أن يطيع الله فليطعه.

82 – أي من الأصول الثلاثة : معرفة دين الإسلام بالأدلة من الكتاب والسنة.

معرفة دين الإسلام بالأدلة، وهو : الاستسلام[83] لله بالتوحيد[84]، والانقياد له بالطاعة[85]، والبراءة من الشرك وأهله[86]، وهو ثلاث مراتب[87] : الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان[88].

فأركان الإسلام خمسة[89] : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله[90]، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام. فدليل الشهادة قوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[91](آل عمران:18)، ومعناها : لا معبود بحق إلا الله، (لا إله) نافيا جميع ما يعبد من دون الله (إلا الله) مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه[92]، وتفسيرها الذي يوضحها : قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ[93] لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ[94] مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي[95] فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ[96] * وَجَعَلَهَا[97] كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ[98] لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[99]) (الزخرف:26، 27، 28). وقوله : (قُلْ[100]

---

83 – دين الإسلام وإن شئت فقل: الإسلام، هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشك وأهله فهو متضمن لأمور ثلاثة.

84 – أي بأن يستسلم العبد لربه استسلاما شرعيا، وذلك بتوحيد الله عز وجل، وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب عليه، أما الاستسلام القدري فلا ثواب فيه لأنه لا حيلة للإنسان فيه قال تعالى: (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (آل عمران:83).

85 – وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

86 – أن يتخلى عن الشرك وذلك يستلزم البراءة من أهله.

87 – الدين الإسلامي ثلاث مراتب، بعضها فوق بعض وهي : الإسلام، الإيمان، الإحسان. [دليل ذلك حديث جبريل عليه السلام].

88 – دليل ذلك حديث جبريل عليه السلام لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان [فذكر له في كل مرتبة أركانها].

89 – دليل ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ". متفق عليه.

90 –شهادة أن لا إله إلا الله تعني الإخلاص، وشهادة أن محمدا رسول الله تعني اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وجُعِلَتَا معًا ركنا واحدا لأنهما معا ركن العبادة، فلا تصح إلا بهما معا.

91 – هذه شهادة الله والملائكة وأولي العلم ومنهم الرسل الكرام أنه لا إله إلا الله وهي شهادة عظيمة لعظم الشاهد والمشهود به، وفي هذا منقبة عظيمة لأهل العلم، ثم قرر الله ذلك وأكده بقوله:"لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ".

92 – أي لا معبود بحق إلا الله عز وجل أما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدوها ليست حقيقية، إذن، فهناك آلهة تعبد من دون الله، ولكنها لا تعبد بحق، بل هي باطلة قال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (الحج:62).

93 – إبراهيم هو خليل الله إمام الحنفاء، وأفضل الرسل بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأبوه آزر.

94 – براء : صفة مشبهة من البراءة، وهي أبلغ من "بريء"، وقوله: (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) يوافي قول : (لا إله).

95 – خلقني ابتداء على الفطرة وقوله : (إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي) يوافي قوله : (إلا الله).

96 – (سَيَهْدِينِ) سيدلني على الحق ويوفقني إليه.

97 – (فَجَعَلَهَا) أي هذه الكلمة، وهي البراءة من كل معبود سوى الله.

98 – (فِي عَقِبِهِ) في ذريته.

99 – (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إليها من الشرك.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ[101] سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ[102] فَإِنْ تَوَلَّوْا[103] فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [104] (آل عمران:64).

ودليل شهادة أن محمدا رسول الله قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ[105] عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ[106] حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ[107] بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [108] (التوبة:128). ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله : طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع[109]. ودليل الصلاة، والزكاة[110]، وتفسير التوحيد قوله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ[111] وَذَلِكَ[112] دِينُ الْقَيِّمَةِ) [113] (البينة:5) .....

ودليل الصيام[114] قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [115] (البقرة:183). ودليل الحج[116] قوله تعالى: (...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [117] (آل عمران:97).

---

100 – الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لمناظرة أهل الكتاب اليهود والنصارى.

101 – هذه هي كلمة التوحيد :"لا إله إلا الله".

102 – أي لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله بحيث يعظمه كما يعظم الله ويعبده كما يعبد الله ويجعل الحكم لغيره.

103 – (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عما دعوتموهم إليه.

104 – فأشهدوهم أنكم مسلمون لله بريئون منهم ومن أفعالهم السيئة.

105 – قوله (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) أي من جنسكم.

106 – أي يشق عليه ما شق عليكم.

107 – أي على منفعتكم ودفع الضرر عنكم.

108 – أي ذو رأفة ورحمة بالمؤمنين، عكس المنافقين والكفار فهو مأمور صلى الله عليه وسلم بجهادهم والغلظة عليهم وهذه الأوصاف تدل حقا أنه رسول الله.

109 – معنى شهادة أن محمدا رسول الله هو : الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمدا بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله إلى جميع الخلق من الجن والإنس، ولا عبادة لله تعالى إلا عن طريق الوحي، ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأن تمتثل لأمره وتجتنب نواهيه، وأن لا نعبد الله إلى بما شرع، ولا نعتقد أن للرسول صلى الله عليه وسلم حقا في الربوبية وتصريف الكون، أو حقا في العبادة، وأن حقه أن ننزله المنزلة التي أنزله الله إياها وهو أنه عبد الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه.

110 – أي أن الصلاة والزكاة من الدين، وهذه الآية شاملة لجميع أنواع العبادة فلا بد أن يكون الإنسان فيها مخلصا لله عز وجل.

111 – نص الله عليهما لما لهما من الأهمية، فالصلاة عبادة البدن، والزكاة عبادة المال وهما قرينتان في كتاب الله.

112 – أي عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

113 – أي دين الملة القيمة التي لا اعوجاج فيها، فدين الله مستقيم، وكما تضمنت هذه الآية ذكر العبادة والصلاة، فقد تضمنت حقيقة التوحيد وأنه الإخلاص لله عز وجل من غير ميل للشرك.

114 – أي دليل وجوبه، وفي قوله تعالى: (كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) فوائد : 1- أهمية الصيام حيث فرض على الأمم من قبلنا، وهذا يدل على محبة الله عز وجل له، وأنه لازم لكل أمة. 2- التخفيف على هذه الأمة حيث أنها لم تكلف وحدها. 3- الإشارة أن الله تعالى أكمل لهذه الأمة دينها حيث أكمل لها الفضائل التي سبقت لغيرها.

115 – أي تتقون الله بالصيام، وما يترتب عليه من خصال التقوى وهذه حكمة الصيام.

116 – أي دليل وجوب الحج، وقوله تعالى: (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) دليل أن من لم يستطع فلا جناح عليه.

المرتبة الثانية[118] : الإيمان[119]، وهو بضع[120] وسبعون شعبة[121]، فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى[122] عن الطريق، والحياء[123] شعبة من الإيمان، وأركانه ستة : أن تؤمن بالله[124].....
وملائكته[125]، وكتبه[126]، ورسله[127]، واليوم الآخر[128].....

---

117 – فيه دليل على أن ترك الحج ممن استطاع إليه سبيلا يكون كفرا، ولكنه كفر لا يخرج من الملة.

118 – أي من مراتب الدين.

119 – أي التصديق، لغة. وشرعا : اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، وهو بضع وسبعون شعبة.

120 –البضع : من 3 إلى 9.

121 – الشعبة : الجزء من الشيء.

122 – أي إزالة ما يؤذي المارة.

123 – الحياء : صفة انفعالية تحدث عند الخجل وتحجز المرء عن فعل ما يخالف المروءة. وفي الجمع بين أن الإيمان بضع وسبعون شعبة وأن الإيمان أركانه ستة نقول : الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة، وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة، لهذا سمى الله الصلاة إيمانا [في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم) (البقرة: من الآية143)].

124 – الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور : **الأول : الإيمان بوجود الله تعالى** : ودل على وجوده : الفطرة والعقل والحس والشرع : **1– الفطرة** : كل مخلوق قد فطر على الإيمان بالله من غير سبق تعليم أو تفكير. **2– العقل** : كل المخلوقات لا بد لها من خالق لأنه لا يمكن أن توجِد نفسها أو توجَد صدفة. **3– الحس** : من وجهين : أ– نسمع ونشاهد من إجابة الداعين وغوث المكروبين. ب– آيات الأنبياء التي تسمى المعجزات ويشاهدها أو يسمعها الناس برهان على وجود مرسلهم وهو الله عز وجل. **4– الشرع** : الكتب السماوية كلها تنطق بذلك في الأخبار الصادقة والأحكام العادلة. **الثاني : الإيمان بربوبيته جل وعلا** : وقد مر الكلام عليه سابقا. **الثالث : الإيمان بألوهيته** : وقد مر الكلام عنه أيضا سابقا، وقد أبطل الله اتخاذ المشركين آلهة الآلهة ببرهانين عقليين : 1– ليس في هذه الآلهة خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق، ولا تنفع ولا تضر. 2– أن المشركين كانوا يقرون أن الله وحده هو الرب الخالق وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية، كما وحدوه بالربوبية. **الرابع : الإيمان بأسمائه وصفاته** : تقدم أيضا الكلام عليه، وقد ضلت في هذا الأمر طائفتان : **إحداهما : المعطلة** : أنكروا الأسماء والصفات أو بعضها زاعمين أن إثباتها يستلزم تشبيه الله تعالى بخلقه، وهذا باطل من وجهين : 1– أنه يستلزم لوازم باطلة كتناقض كلام الله. 2– لا يلزم اتفاق شيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين. **ثانيهما : المشبهة** : أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا هو مقتضى دلالة النصوص وهذا باطل من وجوه: 1– مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يبطله العقل والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمرا باطلا. 2– أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته وصفاته.

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها : 1– تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء ولا خوفا ولا يعبد غيره. 2–كمال محبة الله تعالى وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا. 3– تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

125 – الملائكة : عالم غيبي مخلوقون من نور، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، منحهم الله تعالى الانقياد التام لأمره والقوة على تنفيذه. والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور : 1– الإيمان بوجودهم. 2– الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالا. 3– الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل عليه السلام فقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم له ست مائة جناح قد سد الأفق [حديث ذلك متفق عليه]. وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حدث لجبريل عليه السلام حين أرسله الله إلى مريم فتمثل لها بشرا سويا. 4– الإيمان بما علمنا من أعمالهم كتسبيح الله والتعبد له ليل نهار بدون ملل ولا فتور، وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة كتبليغ الوحي الخاص بجبريل والقطر الخاص بميكائيل عليهما السلام وغيرهم.

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها : 1- العلم بعظمة الله تعالى وقوته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق. 2- شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم. 3- محبة الملائكة.

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساما، وقالوا : إنهم عبارة عن قوة الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين. قال تعالى: (الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ) (فاطر: من الآية1). والأدلة على وجودهم كثيرة جدا.

126 - الكتب : جمع كتاب بمعنى مكتوب، والمراد بها هنا الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة. والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور : 1- الإيمان بأن نزولها من عند الله حق. 2- الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، وما لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالا. 3- تصديق ما صح من أخبارها، والقرآن صحيح كله. 4- العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضى والتسليم به سواء فهمنا الحكمة منه أم لم نفهمها، والقرآن ناسخ لجميع الكتب.

والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها : 1- العلم بعناية الله تعالى بعباده، حيث أنزل على كل قوم كتابا يهديهم به. 2- العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم.

127 - الرسل : جمع رسول بمعنى مرسل أي مبعوث بإبلاغ شيء. والمراد هنا : من أوحي إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه. وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام، ففي حديث الشفاعة أن آدم عليه السلام يقول للناس :"ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله..". **[متفق عليه]**. وتلحقهم خصائص البشرية وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتها. والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور : 1- الإيمان بأن رسالتهم حق من الله، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. 2- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالا. 3- تصديق ما صح عنهم من أخبارهم. 4- العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم المرسل إلى كافة الناس.

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها : 1- العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده إذ أرسل إليهم من يهديهم إلى صراطه. 2- شكره تعالى على هذه النعمة العظيمة.3- محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم لما لهم من مكانة وفضل.

128 - اليوم الآخر : يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب، وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع. والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور : **1- الإيمان بكل ما يكون بعد الموت** : كفتنة القبر (سؤال الميت بعد دفنه) ونعيمه وعذابه. **2- الإيمان بالبعث** : وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين. **3- الإيمان بالحساب والجزاء. 4- الإيمان بالجنة والنار** وأنهما المآل الأبدي للخلق.

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها : 1- الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء ثواب ذلك اليوم. 2- الرهبة من فعل المعصية خوفا من عقاب ذلك اليوم. 3- تسلية المؤمن عما يفوته في الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت، زاعمين أن ذلك غير ممكن، وهذا الزعم باطل دل على بطلانه الشرع والحس والعقل: فأما الشرع : قال الله تعالى: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (التغابن:7). وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه. أما الحس : فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا وفي سورة البقرة = = خمسة أمثلة. وأما العقل : فدلالته من وجهين : 1- الله فاطر السماوات والأرض وما فيهما، خالقهما ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته. 2- أن الأرض تكون هامدة ميتة، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية، والقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الموتى.

وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر ونعيمه وهذا باطل بالشرع والحس والعقل : الشرع : قال تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (غافر:46). الحس : يرى النائم في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موحش يتألم فيه، وربما يستيقظ أحيانا مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه، والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله :"وفاة". العقل : يرى النائم في منامه رؤيا حق مطابقة للواقع، وربما رأى النبي صلى الله عليه

وتؤمن بالقدر خيره وشره[129]. والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) (البقرة:177). ودليل القدر قوله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر:49).

وسلم على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقا ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيدا عما رأى، فغن كان هذا ممكنا في أحوال الدنيا، أفلا يكون ممكنا في أحوال الآخرة؟.

[129] – القدر : بفتح الدال : هو تقدير الله للكائنات حسبما سبق علمه واقتضته حكمته. والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور : 1- الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلا، أزلا وأبدا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.[العلم]. 2- الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ [الكتابة]. 3- الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أو مما يتعلق بفعل المخلوقين [المشيئة]. 4- الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها وصفاتها وحركاتها. [الخلق].

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدره عليها لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له : أما الشرع : قال تعالى: (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً)(النبأ: من الآية39). وأما الواقع : فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة فيما يفعل وفيما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وبين ما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله وهذا لا يمنح العبد حجة في فعل محرم أو ترك واجب واحتجاجه باطل من وجوه : **1-** قوله تعالى: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا)(الأنعام: من الآية148)، ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه. **2-** قوله تعالى: (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء:165) ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل، لأن المخالفة بإرسالهم واقعة بقدر الله. **3-** ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ أَوْ مِنْ الْجَنَّةِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ : أَلاَ نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لاَ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ. ثُمَّ قَرَأَ : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى) الآيَةَ. وفي لفظ لمسلم : (فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ) فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل ونهى عن الاتكال عن القدر. **4-** أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال تعالى: (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُم) (التغابن: من الآية16)، ولو كان العبد مجبرا لكان مكلفا بما لا يستطيع. وهذا باطل، ولهذا من وقعت منه المعصية جهلا أو نسيانا أو إكراها كان معذورا لا يأثم. **5-** أن قدر الله سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد سابقة لفعله، فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلم. **6-** نجد الإنسان في أمور دنياه يحرص على ما يلائمه، ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه محتجا بالقدر. فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره محتجا بالقدر؟ أليس شأن الأمرين واحدا؟ **7-** أن المحتج بالقدر لو اعتدى عليه أحد فأخذ ماله ثم احتج عليه بالقدر لم يقبله منه، فكيف لا يقبل احتجاج غيره بالقدر لما يعتدي عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى ؟.

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها : 1- الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى. 2- أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب = = الخير والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة. 3- الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب أو حصول مكروه.

وقد ضل في القدر طائفتان : **الجبرية** : الذين قالوا إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة. **القدرية** : قالوا : إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته أثر. وهذا لا مردود بالشرع والعقل. [وقد مر الرد عليهما في ثنايا الكلام عن القدر فالرد على القدرية مضى في إثبات مشيئة الله تعالى، والرد على الجبرية في إبطال الاحتجاج بالقدر في المعصية].

المرتبة الثالثة : الإحسان، ركن واحد وهو:"أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" والدليل قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (النحل:128)، وقوله : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الشعراء 217، 218، 219، 220) وقوله: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ)[130](يونس:61).

والدليل من السنة : حديث جبرائيل المشهور عن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الإِسْلاَمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً"، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمَانِ، قَالَ:"أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِحْسَانِ، قَالَ:"أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ، قَالَ:"مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ"، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ"، قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِيًّا فَقَالَ:"يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:"هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ".

* الأصل الثالث *[131]

---

[130] – الإحسان : ضد الإساءة، وهو في عبادة الله على مرتبتين : 1– أن تعبد الله كأنك تراه، وهذه عبادة شوق وطلب. وهي متضمنة لحب الله تعالى، وهو الركن الأول للعبادة. ثم تليها المرتبة الثانية من الإحسان وهي : 2– إن لم تكن تراه فإنه يراك، وهي عبادة الخوف والهرب. وهي المتضمنة للذل وهو الركن الثاني للعبادة. وفي كلتا الحالتين يتحقق للعبد الإخلاص لله تعالى في العبادة، فمن تمام الإخلاص أن يحرص الإنسان أن لا يراه الناس في عبادته إلا في مصلحة كأن يعلم غيره أو ليقتدى به أو ليظهر شعائر الإسلام ونحو ذلك، والمؤمن ينظر لما هو أصلح وأنفع في عبادته فيأتيه. وأما الإحسان لعباد الله فهو أن يبذل الإنسان المعروف ويكف الأذى، ويكون ذلك في المال والجاه والعلم والبدن، ففي 1– المال : يكون بالزكاة وباقي النفقات والصدقات الواجبة والمستحبة، وفي 2– الجاه : يكون في الشفاعة. وفي 3– العلم : يكون بالتعليم وبذل العلم لعباد الله في الحلقات والمجالس الخاصة والعامة بالحكمة وبلا تثقيل فإن النفوس تمل وتسأم. وفي 4– بالبدن : كإعانة الرجل على حمل متاع أو تدله على طريق وما أشبه ذلك.

[131] – أي من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها وهي معرفة العبد ربه ودينه ونبيه صلى الله عليه وسلم. وقد مر الكلام عن معرفة العبد ربه ودينه، أما معرفة النبي صلى الله عليه وسلم فهي تتضمن خمسة أمور : 1– معرفته نسبا فهو هاشمي قرشي عربي وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب...إلخ مما قاله الشيخ رحمه الله. 2– معرفة سنه ومكان ولادته ومهاجره : ولد في مكة وبقي فيها 53 سنة ثم هاجر للمدينة وبقي فيها 10 سنوات وتوفي بها عن 63 سنة في ربيع الأول سنة 11 من الهجرة. 3– معرفة حياته النبوية : وهي 23

معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر : ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيا ورسولا، نُبّئَ بـ"اقرأ"، وأرسل بـ"المدثر"، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة. بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد[132]، والدليل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ[133] * قُمْ فَأَنْذِرْ[134] * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (المدثر : 1-7). ومعنى (قُمْ فَأَنْذِرْ) : ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أي : عظمه بالتوحيد، (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) أي : طهر أعمالك عن الشرك، (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) الرجز : الأصنام، وهجرها تركها والبراءة منها وأهلها.

أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد وبعد العشر عرج به إلى السماء[135]، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين[136]، وبعدها أمر بالهجرة[137] إلى المدينة. والهجرة : الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام[138]، والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام[139]، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة. والدليل قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ

سنة فقد أوحي إليه وعمره 40 سنة. 4- بماذا كان نبيا ورسولا؟ :كان نبيا حين أنزل عليه : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...) (العلق :1-5) ثم كان رسولا حين نزول قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ...) (المدثر : 1-7). والفرق بين الرسول والنبي هو أن الرسول من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه والعمل به، فكل رسول نبي بلا عكس. 5- بماذا أرسل ولماذا؟ : فقد أرسل بتوحيد الله وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور وأرسل رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور حتى ينالوا رضوان الله وينجوا من سخطه.

[132] – أي ينذرهم عن الشرك ويدعوهم إلى توحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

[133] – النداء للنبي صلى الله عليه وسلم.

[134] – يأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوم بجد ونشاط وينذر الناس عن الشرك ويحذرهم منه.

[135] – العروج : الصعود، وهو من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم العظيمة التي فضله الله بها قبل أن يهاجر من مكة.

[136] – وكان يصلي الرباعية ركعتين حتى هاجر إلى المدينة فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر.

[137] – أمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة لأن أهل مكة منعوه أن يقيم دعوته، ورفضوها وأعرضوا عنها وآذوه ومن آمن به إلا قليلا منهم، حتى قرروا قتله بعد أن كان الأنصار (سكان المدينة) قد بايعوه على أن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم. فخرج إلى المدينة مع أبي بكر رضي الله عنه ومكثا في غار ثور ثلاث ليال وجعلت قريش تطلبهم وتعظم الجزاء لمن يأتي بهم، حتى إن قريشا ليقفون أما باب الغار فلا يرونهما، قال أبو بكر رضي الله عنه:"قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار : لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا. فقال:"لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا، مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟"[متفق عليه]. فلما سكن عليهما الطلب قليلا خرجا إلى المدينة على طريق الساحل. وخرج أهل المدينة ليستقبلوه أياما من الصباح لا يردهم إلا حر الشمس، حتى كان اليوم الذي جاء فيه فخرجوا ومعهم السلاح تعظيما وإجلالا له وإيذانا باستعدادهم للدفاع عنه وحمايته، فنزل في ديار عمرو ابن عوف في قباء، وأقام فيهم بضع ليال وأسس المسجد، ثم دخل المدينة.

[138] – الهجرة : لغة : مأخوذة من الهجر وهو الترك. وشرعا : الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. وبلد الشرك هو الذي تقام فيه شعائر الشرك، ولا تقام فيه شعائر الإسلام بوجه عام شامل، وبلد الإسلام هو الذي تقام فيه شعائر الإسلام بوجه عام وشامل.

[139] – فهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً) [140] (النساء :97 - 99). وقوله تعالى: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) (العنكبوت : 65). قال البغوي رحمه الله : سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان. والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم: (لاَ تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلاَ تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) [141]. فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل : الزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأذان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام[142]. أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه[143] ودينه باق. وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذي دل عليه : التوحيد،

140 – في هذه الآية دليل أن القادر على الهجرة يوبخ ويعاتب بعكس المستضعف فإن الله يعفو عنه.

141 – وذلك حين انتهاء العمل الصالح المقبول قال تعالى: (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) (الأنعام: من الآية158) والمراد ببعض هذه الآيات طلوع الشمس من مغربها. والسفر إلى بلاد الكفر لا يجوز إلا بثلاثة شروط : 1- أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات. 2- أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات. 3- أن يكون محتاجا إلى ذلك. فإن لم تتم هذه الشروط فلا يجوز السفر إلى بلاد الكفر لما في ذلك من الفتنة أو خوف من الفتنة، وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالا كثيرة في هذه الأسفار. أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك كالعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلد المسافر وكان على ما وصفنا فهذا لا بأس. أما السفر للسياحة فليس بحاجة فهو لا يجوز، فبإمكان السائح أن يسافر إلى البلاد الإسلامية للسياحة، فبعض المناطق منها سياحية.

أما الإقامة في بلاد الكفر فخطرها عظيم على المسلم، وكم ممن سافر فانحرف وتغير، ولهذا وجب التحفظ من ذلك ووضع شروط، فالإقامة في بلاد الكفر فيها شرطان أساسيان : 1- أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده ما يثبته على دينه، وأن يكون مضمرا لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعدا عن موالاتهم ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان، وذلك يستلزم موافقتهم واتباعهم أو على الأقل عدم الإنكار عليهم. 2- أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بلا ممانع، وإلا كانت الهجرة في حقه واجبة. وبعد تمام هذين الشرطين فإن الإقامة في بلاد الكفر تنقسم إلى أقسام : 1- أن يقيم للدعوة إلى الإسلام فهذا فرض كفاية بشرط أن تتحقق دعوته ولا يوجد لها مانع. 2- أن يقيم لدراسة أحوال الكفار لتحذير الناس منهم وتبيين حقيقتهم وعيوبهم وهي من الجهاد لكن بشرط أن لا يمنع ويتحقق مراده ولا يؤذى دينه ولا تتحقق مفسدة أعظم من ترك ما يدعو إليه، ومثل هذا القسم : التجسس على الكفار. 3- أن يقيم لحاجة الدولة كالسفراء، فحكمها حكم ما أقام لأجله. 4- أن يقيم لحاجة خاصة كالتجارة والعلاج، فتباح بقدر الحاجة. 5- أن يقيم للدراسة وهذه كالتي قبلها لكن بشروط : لما فيها من خطر عظيم ووبال وبيل، وهي : أ- أن يكون للطالب مستوى كبير من النضوج العقلي. ب- أن يكون ذا علم – يمكنه من التمييز بين الحق والباطل – من الشريعة. ج- أن يكون ذا دين يحميه من الوقوع في الكفر والفسق. د- أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام لأجله. 6- أن يقيم للسكن وهذا لا يجوز. والله أعلم.

142 – أي هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم تفرض عليه الزكاة ولا الصيام ولا الحج، وظاهر كلام المؤلف رحمه الله أن الزكاة فرضت أصلا وتفصيلا في المدينة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الزكاة فرضت أولا في مكة وفي المدينة قدرت الأنصاب وقدر الواجب، واستدلوا بأن هناك آيات مكية توجب الزكاة كقوله تعالى: (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) (الأنعام: الآية 141).وعلى= =كل حال فاستقرار أمر الزكاة وتفصيلها كان في المدينة، وكذلك الجماعة لأن الأذان الذي يدعو إليها فرض في السنة 2 هـ، أما الصلاة والصوم ففرضا في السنة 2 هـ، وأما الحج ففي السنة 9هـ بعد فتح مكة في السنة 8 هـ، وكذلك باقي الشرائع الظاهرة كلها فرضت بعد استقرار النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وإقامة دولة الإسلام.

143 – أخذ النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك عشر سنين فلما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين، اختاره تعالى لجواره، فابتدأ به المرض في آخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول، فأمر أبا بكر ليصلي بالناس، ولما كان يوم الاثنين 12 أو 13 من ربيع الأول

وجميع ما يحبه الله ويرضاه. والشر الذي حذر منه : الشرك وجميع ما يكره الله ويأباه. بعثه الله إلى الناس كافة[144]، وافترض طاعته على جميع الثقلين : الجن والإنس، والدليل قوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً)[145] (الأعراف: من الآية 158). وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً)[146] (المائدة: من الآية 3). والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ)[147] (الزمر:30-31). والناس إذا ماتوا يبعثون[148]، والدليل قوله تعالى : (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ[149] وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ[150] وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى[151]) (طه:55)، وقوله تعالى: (وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا)[152] (سورة نوح، الآيتين : 17، 18). وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)[153] (النجم: من الآية 31)، ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)[154] (التغابن:7)، وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين،

من السنة 11 من الهجرة نزل به الموت فجعل يدخل يده في ماء عنده ويمسح وجهه ويقول:"لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ" ثم شخص بصره نحو السماء وقال:"اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى"[متفق عليه]. فتوفي ذلك اليوم واضطرب الناس، حتى جاء أبو بكر رضي الله عنه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد : فإنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم قرأ : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)(آل عمران: من الآية144)، (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (الزمر:30)، فاشتد بكاء الناس وعرفوا أنه قد مات، ثم غسل صلى الله عليه وسلم في ثيابه تكريما له، ثم كفن بثلاث لفائف بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وصلى عليه الناس أرسالا بدون إمام، ثم دفن ليلة الأربعاء بعد أن تمت مبايعة الخليفة بعده فعليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

144 – أي : أرسله الله إلى الناس جميعا.

145 – في هذه الآية دليل محمدا صلى الله عليه وسلم رسول إلى الناس جميعا، إلى الثقلين – وسموا بذلك لكثرة عددهم– الإنس والجن، أرسله الذي هو متوحد في الألوهية كما أنه متوحد في الربوبية، ثم أمر تعالى بأن نؤمن بهذا الرسول وأن نتبعه وذلك سبب لهداية الإرشاد، وهداية التوفيق.

146 – أي أن دينه عليه الصلاة والسلام باق إلى يوم القيامة، فما توفي إلا وقد بين للأمة ما تحتاجه في جميع شئونها إما بالقول أو الفعل أو الإقرار وهو كله خير ويسر ولا حرج فيه بعكس ما يظنه بعض من لديه خلل في البصيرة وقلة في الصبر وضعف في الدين.

147 – ففي هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم ومن أرسل إليهم ميتون وأنهم سيختصمون عند الله يوم القيامة فيحكم بينهم بالحق ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا.

148 – في هذه الجملة إشارة إلى الإيمان بالبعث [وقد مر الكلام عنه].

149 – أي من الأرض خلقناكم حين خلق آدم عليه السلام من تراب.

150 – أي الدفن بعد الموت.

151 – أي بالبعث يوم القيامة.

152 – هذه الآية مثل سابقتها، وقد أكثر الله من ذكر المعاد ليؤمن به الناس ويزدادوا إيمانا ويعملوا له.

153 – يعني أن الناس بعد البعث يجازون ويحاسبون على أعمالهم فإن خيرا فخير والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن شرا فشر والسيئة بمثلها.

154 – من كذب بالبعث فهو كافر [والرد على منكريه قد مر في الإيمان باليوم الآخر].

والدليل قوله تعالى: (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)[155] (النساء: من الآية165). وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ)[156] (النساء: من الآية163). وكل أمة بعث الله إليها رسولا[157] من نوح إلى محمد، يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)[158] (النحل: من الآية36). وافترض الله جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. قال ابن القيم رحمه الله تعالى : معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع[159]، والطواغيت[160] كثيرة رؤوسهم[161] خمسة : إبليس[162] لعنه الله، ومن عُبد وهو راض[163]، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه[164]

.....

.....

ومن ادعى شيئا من علم الغيب[165]، ومن حكم بغير ما أنزل الله[166]. والدليل[167] قوله تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ[168] قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ[169] فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)[170]

---

155 – أرسل الله جميع الرسل مبشرين من أطاعهم بالجنة ومنذرين من خالفهم بالنار. [وقد مر الكلام عن الرسل في الإيمان بالرسل]. وأهم حكمة من إرسال الرسل هو إقامة الحجة على الناس، وأعظم ما دعوا إليه هو التوحيد.

156 – بيَّن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أن أول رسول هو نوح وآخرهم محمد صلى الله عليهم وسلم فلا نبي بعده ولا رسول ومن ادعى ذلك فهو مرتد عن الإسلام.

157 – أي أن الله بعث في كل أمة رسول يدعوهم للتوحيد وينهاهم عن الشرك.

158 – هذا هو معنى لا إله إلا الله.

159 – أراد شيخ الإسلام رحمه الله أن التوحيد لا يتم إلا بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت. والطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد، واصطلاحا هو : كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع من غير الصالحين. ويريد بقوله (أو مطاع) الأمراء الذين يطاعون شرعا بأن يأمروا بما لا يخالف الإسلام فطاعتهم هنا واجبة وقربة إلى الله وتعبد، فتكون طاعتهم بوازع الإيمان، أو يطاعون قدرا بأن تكون لهم قوة وسلطان فيخشاهم الناس ويهابونهم فتكون طاعتهم بوازع السلطان والقوة. إذن فحالة الناس مع حكامهم على أربعة أحوال : 1- أن يقوى الوازع الإيماني والرادع السلطاني وهذا أكمل الأحوال وأعلاها. 2- أن يضعف الوازعان وهذا أدنى الأحوال وأخطرها على الحكام والمحكومين وبها تحصل الفوضى الفكرية والخلقية والعملية. 3- أن يضعف الوازع الإيماني ويقوى الوازع السلطاني وهذه مرتبة وسطى وأصلح للأمة في المظهر. 4- أن يقوى الوازع الإيماني ويضعف الوازع السلطاني فيكون المظهر أدنى منه في الحال الثالثة لكنه فيما بين الإنسان وربه أكمل وأعلى.

160 – جمع طاغوت وسبق تفسيره.

161 – أي : زعماؤهم ومقلَّدُوهم خمسة.

162 – إبليس هو الشيطان الرجيم اللعين، كان في صحبة الملائكة ويعمل بعملهم ولما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ظهر ما فيه من الخبث فطرد من رحمة الله.

163 – أي عُبِدَ من دون الله وهو راض أن يعبد من دون الله سواء كان حيا أو ميتا.

164 – أي من دعا الناس إلى عبادة نفسه وإن لم يعبدوه فهو طاغية.

165 – الغيب : ما غاب عن الإنسان، وهو نوعان : 1- غيب واقع : وهو نسبي يكون لشخص معلوما ولآخر مجهولا. 2- غيب المستقبل : حقيقي لا يكون معلوما لأحد إلا الله أو من أطلعه الله عليه، فمن ادعى علمه فهو كافر.

(البقرة:256). وهذا معنى (لا إله إلا الله). وفي الحديث: (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ[171]، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ[172]، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)[173]، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[174].

---

166 – الحكم بما أنزل الله من توحيد الربوبية، ومن لم يحكم بما أنزل الله وأراد أن يكون التحاكم لغير الله وردت فيه آيات بنفي الإيمان عنه، وآيات بكفره وظلمه وفسقه، وهم قسمان : **1– المنافقون** وفيهم صفات : 1– انهم يريدون التحاكم إلى الطاغوت. 2– أنهم إذا دعوا إلى تحكيم الشرع صدوا وأعرضوا. 3– انهم إذا أصيبوا بمصيبة أو كشف أمرهم اعتذروا وحلفوا أنهم يريدون الإحسان. ونبّضه الله تعالى أن الإيمان لا يصح إلا بثلاثة أمور : 1– أن يكون التحاكم في كل نزاع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. 2– أن تنشرح الصدور بحكمه، ولا يكون في النفوس حرج منه. 3– أن يحصل التسليم بقبول ما حكم به وتنفيذه بدون توان أو انحراف. **2– أما القسم الثاني فهم الموصوفون بالكافرين والظالمين والفاسقين** وهل هذه الأوصاف تتنزل على موصوف واحد؟ أم تتنزل على موصوفين بحسب الحامل لهم على الحكم بغير ما أنزل الله؟ هذا هو الأقرب عندي والله أعلم. 1– فمن لم يحكم بما أنزل الله استخفافا به أو احتقارا أو اعتقادا أن غيره أصلح وأنفع فهو كافر كفرا مخرجا من الملة. إذ من المعلوم من الضرورة العقلية والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه. 2– ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافا ولا احتقارا ولا شيئا مما مر ذكره فهو ظالم. 3– ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافا ولا شيئا مما سبق أيضا، لكن دفعه لذلك شهوة أو رشوة فهو فاسق.

والذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا هم على قسمين : 1– أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ويعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم انهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركا. 2– أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحلال وتحريم الحرام لكنهم أطاعوهم في معصية الله فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. وهناك فرق بين المسائل التي تعتبر تشريعا عاما وبين المسألة المعينة، فالمسائل التي تعتبر تشريعا عاما لا يتأتى فيها التقسيم السابق، وإنما هي من القسم الأول فقط، لأن هذا المشرع إنما شرعه لاعتقاده أنه أصلح من الإسلام وأنفع للعباد.

وهذه المسألة هي من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم حتى يتبين له الحق لأن المسألة خطيرة، ويجب على العلماء أن يبينوا لهؤلاء الحكام الحق ويقيموا عليهم الحجة.

167 – أي على وجوب الحكم بما أنزل الله والكفر بالطاغوت.

168 – لا إكراه على الدين لظهور أدلته وبيانها ووضوحها.

169 – بدأ الله بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت (التخلية قبل التحلية).

170 – أي تمسك بها تمسكا تاما والعروة الوثقى هي الإسلام، وتأمل كيف قال عز وجل: (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ)، ولم يقل : (تمسك)، لأن الاستمساك أقوى من التمسك، فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك.

171 – أراد المؤلف الاستدلال بهذا الحديث على أن لكل شيء رأسا ورأس الأمر الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الإسلام.

172 – لأنه لا يقوم بها، ولهذا فالراجح كفر تارك الصلاة.

173 – أعلاه وأكمله الجهاد في سبيل الله فإذا أصلح الإنسان نفسه حاول إصلاح غيره بالدعوة والجهاد لتكون كلمة الله هي العليا وهو ذروة سنام الإسلام وبه علو الإسلام.

174 – ختم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رسالته هذه برد العلم إلى الله عز وجل والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبهذا انتهت الأصول الثلاثة وما يتعلق بها فنسأل الله أن يثيب مؤلفها أحسن الثواب، وأن يجعل لنا نصيبا من أجرها وثوابها، وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.